كلمة حق

د. محمد بن لطفي الصباغ

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. أما بعد..

فهذه كلمة أكتبها أداءً للأمانة، وتسجيلاً للحقيقة التي عرفتها، من خلال معرفة قديمة، وعلاقة وثيقة بأخي الأثير المفضال الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد.. الرجل النبيل، والمربي الكبير، الذي وقف حياته وما آتاه الله من موهبة على خدمة التربية والتمكين لها في بلاده.

أسأل الله أن يوفقه إلى الخير، وأن يستعمله في طاعته، وأن يزيده قوة وسداداً.

إنّ معرفتي بهذا الرجل تجاوزت أربعة عقود، كان فيها محمد بن أحمد الرشيد مثال الجد، والدأب، والطموح، وقد رزقه الله جلداً لا يعرف الملل، وذاكرة قوية، فهو لا يكاد ينسى شيئاً، وحرصاً على الاستفادة من كل لحظة من لحظات الحياة.

عرفته أولَ ما عرفته طالباً في كلية اللغة العربية.. وعلمت أنه بعد التخرج عمل مدّرساً في معهد إمام الدعوة، ثم ابتُعث إلى أمريكا لدراسة التربية، وكان ذلك سنة ١٣٨٦هـ واستمرّ في الدراسة إلى ١٣٩٢هـ، وعندما عاد من دراسته عمل أستاذاً في كلية التربية من جامعة الملك سعود، ثم وكيلاً للكلية، ثم عميداً لها، وكنت حينذاك أستاذاً في هذه الكلية، وقد ظهرت مقدرته الإدارية، فقد قام بنشاط تربوي، واستعان بطاقات كبيرة كانت في الكلية، ونظَّم محاضرات علمية متعدّدة الاتجاهات لأساتذة من الكلية ولآخرين من خارجها.

مستشار بمكتب وزير التربية والتعليم سابقاً.

ثـم انتقل مديـراً عاماً لمكتب التربية العربي لدول الخليـج، وقد استطاع إنجاز أمور كثيـرة فيـه، وساعده على ذلـك أن صلاحيات مدير المكتب واسعة جـداً، ولا يمكنني أن استقصي إنجازاته في هذه الكلمة الموجزة.

وقد عملتُ معه في لجنة الدراسات والنشر في مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي التـي كان الدكتـور يديرها، وكان من أعضائها العلامة الأستـاذ الكبير الدكتور محمد سليم العوّا والدكتور علي التويجري، وكانت هذه اللجنة تجتمع أسبوعياً، واستطاعت أن تنجز نشر طائفة من الكتب تحقيقاً، وتأليفاً، وكانت اللجنة تكلّف عدداً من رجالات التربية في عدد من البلاد العربية بتأليف كتب في موضوعات معينة أو تحقيق بعض المخطوطات.

وأحسـب أن سجـلاً بمنشـورات المكتب قد أُعـدّ فهناك عدد كبير مـن كتب التربية الأصيلـة والمترجمة قد صـدر، حتى يمكن القول: إن مكتبة تربويـة غنية قد صدرت عن المكتب في عهده النشيط الحيّ، وذلك من فضل الله عليه وعلى الثقافة.

ومـن أجـلّ الأعمال التي قام بها الدكتور محمد الرشيـد تكليفه أحد أكبر المحدثين في عصرنا الحاضر وهو الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله بتحقيق القول في أحاديـث السنن الأربعة وهـي: سنن أبي داود، وسنن النَّسائـي، وجامع الترمذي، وسنن ابـن ماجـه، لأن هذه الكتب التي هي مع الصحيحين من أهم أصول الدين الإسلامي بعد القـرآن، وتُعدّ المرجـع الأول لأحكام الشريعة الإسلامية ولكـن أحاديثها فيها الصحيح، والحسـن، والضعيف، فاغتنـم الدكتور وجود الشيخ الألباني، وكلفـه بهذا العمل الجليل، وقـد قام المحدث الألباني رحمه الله بالعمل المطلـوب وقام المكتب الإسلامي بإشراف الأستاذ زهير الشاويش بطباعته على وجه جيد وبسرعة فائقة.

وقد تلقّى المهتمون بحديث رسول الله هذا العمل بالقبول الحسن فسارعوا إلى اقتناء هذه الكتب والإفادة منها ونفدت الطبعات الأولى وأعيد طبعها مرات.

والحـق أنّ مدّة إدارة الرشيد لمكتـب التربية العربي لدول الخليج كانت حافلة بأنواع من النشاط التربوي والإسلامي، فهناك الندوات العديدة التي أقامها المكتب ومنها:

- ندوة التحدّيات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربي (عُقدت في مسقط سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م).
- ندوة النظم الإسلامية (عُقدت في أبو ظبي سنة ١٩٨٤م).
- النـدوة الفكرية لرؤسـاء ومديري الجامعات في الدول الأعضاء (عُقدت في جدّة سنة ١٩٨٥م).
- وندوة اتجاهات الفكر المعاصر (عُقدت في البحرين سنة ١٩٨٥م).
- وندوة ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟ (عقدت في الرياض).

وقد شارك فـي هذه الندوات رجال الفكر والتربية ومفكّـرون إسلاميون من مختلف الأقطار العربية، وصدرت بحوثها ومناقشاتها في مجلدات، وفيها زاد علمي كبير.

وهنـاك ندوات أخرى، وإنمـا أردت ذكر نماذج من هذا النشـاط التربوي الإسلامي الذي قدّمه المكتب في عهد إدارة محمد الرشيد.

وهنـاك الدراسات التي تناولـت أعلام التربية في ثقافتنـا الإسلامية، فقد استكتب الدكتـور الرشيد علماء التربية وعلمـاء الإسلام في تراجم عدد من التربويين المسلمين ودراسـة آرائهـم، وذكر ما قدمـوا من نظرات فـي التربية من أمثال: ابـن خلدون، وابن تيمية، والغزالي، وابن جماعة، وغيرهم، وصدرت في ذلك مجلدات نفيسة.

وهناك دراسة (مناهج المستشرقيـن في الدراسات العربية الإسلامية)، وهو كتاب فريد نافع، صدر بالتعاون مع المنظَّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

يحسـن أن أنقل هنـا سطوراً من مقدمة الكتـاب التي كتبها الدكتـور محمد الرشيد المديـر العـام لمكتب التربية العربي لـدول الخليج والدكتور محيـي الدين صابر المدير العام للمنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، رحمه الله.

ومما قاله في المقدمة:

(ولقد وقع الاختيار على معالجة هذا الموضوع بالذات لاعتبارات متعددّة، منها تصويب الأخطاء التي وقع فيها بعض المستشرقين الذين عالجوا موضوعات الفكر الإسلامي، ومقوّمات الحضارة العربية الإسلامية وتراثها الأدبي، والعلمي، والأخلاقي، والسياسي في لغاتهم، فأساءوا تقديمها لقرائهم وحرّفوا مقولاتها، وشوّهوا صورتها عن قصد مبيَّت حيناً، وعن جهل وسوء فهم أحايين أخرى).

فكان من الواجب التصدي للمناهج التي انطلقوا منها، ومناقشة النتائج التي انتهوا إليها، والرّد عليها، وتصويبها بما تقتضي الموضوعية والنزاهة وروح البحث المنهجي.

(ومن بين الغايات الأخرى توجيه اهتمام الباحثين والدارسين المعاصرين من الشباب العربي المسلم الذين انساق بعضهم إلى التأثر بهذه المناهج والانبهار بها... وإلى النتائج الخطيرة التي تمخضت عنها من تشكيك في العقيدة، ودحض للنبوة، وافتراء على التاريخ، وتزييف للحقائق، لمساعدتهم على وعي ما تنطوي عليه من مزالق ومحاذير... إلخ).

ومن الأمور المهمّة النافعة التي كان للدكتور الرشيد أثر كبير في قيامها: جامعة الخليج العربي في دولة البحرين، وكان للدكتور الرشيد دور في إنقاذها بعد أن تعرضت للإلغاء بسبب النواحي المالية، بعد أن عرض الأمر على الملك فهد يرحمه الله الذي تعهد بأن تقوم المملكة بدفع المبالغ المالية المطلوبة.. واستمرت الجامعة.

وقد عمل الدكتور الرشيد على استئناف إصدار مجلة المعرفة، التي كانت تصدر عن وزارة المعارف من قبل، والتي احتجبت ثلاثين سنة.

هذه أمور ذكرتها الآن، وقد تكون هناك أمور أخرى شهدتها ولم أذكرها، فهذه الكلمة ليست دراسة مستوفية لأعمال الرجل، وأحسب أنّ من المفيد أن تقوم هذه الدراسة لما أتوقّع لها من فوائد.

وأود أن انتقل بعد ذلك إلى ذكر طرف من أخلاقه، التي وقفت عليها من خلال معرفتي له التي امتدت أربعة عقود كما سبق أن ذكرت.. فسأشير إلى أهمّها فيما يأتي:

- يتصف محمد الرشيد بالتواضع، وهو خُلق الرجال الكبار الذين يزيدهم هذا الخلق رفعة عند الله وعند الناس، وذلك مصداق ما قال رسول الله ﷺ: (**وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**) (رواه مسلم برقم ٢٥٨٨)، ويدفع هذا الخلق الكريم صاحبه إلى احترام الآخرين والبعد عن احتقارهم.

- ويؤسفني أن أذكر أن كثيراً من الناس يقعون في هذه الخصلة المقيتة، وهي احتقار الآخرين لكونهم غرباء، أو لكونهم عمّالاً لا يحملون مؤهلات علمية، أو لكونهم فقراء، والرسول العظيم ﷺ يقول: (**بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم.. كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**) (رواه مسلم برقم ٢٥٦٤).

وما زلت أذكر مقالة كتبها الدكتور الرشيد في إنصاف المتعاقدين والإحسان إليهم، ليكونوا ألسنة ثناء وصدق على البلد الذي كانوا فيه، وذلك عندما يعودون إلى بلادهم، وقال: (إن هؤلاء الرجال لم يأتوا إلينا من تلقاء أنفسهم، بل نحن الذين طلبناهم، وقد قدّموا لنا خدمات مهمّة، ينبغي أن يشكروا عليها).

- ومن الصفات الحميدة التي أكرمه الله بها إغاثة الملهوف ورعاية الضعيف. أذكر من ذلك أن أسرة كريمة كان عميدها يعمل أستاذاً في كلية التربية توفي إثر حادث مروري عندما كان في طريقه إلى مكة، وكان وضع الأسرة صعباً جداً، وليس لها في بلدها الأصلي معيل، فقام بكفالة هذه الأسرة وتعهدها بالرعاية وتيسير الإقامة لها في ربوع هذا البلد الطيب.. وأحسب أن أولادها أضحوا الآن رجالاً مؤهّلين.

- ومما يذكر له التفاته إلى أمور دقيقة ذات أثر كبير على مجتمعه، فقد أدرك أمراً خطيراً في المجتمع الخليجي، ألا وهو تأثير المربّيات الأجنبيات، فاقترح تكليف باحث أن يُعد رسالة في هذا الموضوع، وكان ذلك.. وصدرت الرسالة بعنوان:

(المربيات الأجنبيات في البيت العربي الخليجي: عرض وتحليل لبعض الدراسات الميدانية).

وكتب الدكتور الرشيد تقديماً لهذه الرسالة بيّن فيه أهمّ الأخطار التي تنتج عن هذه الظاهرة، فمن أهم الأخطار إفساد لغة الأمة.. يقول:

(إننـا نذكر (الخطر اللغوي) لقد كشفت نتائج بعض الأبحاث أن ما لا يزيد عن ٨٪، مـن مجموع المربيات لهن إلمـام باللغة العربية، فما الأثر المتوقع علـى لسان أطفال الـ ٩٢٪ من المربيات الأجنبيات...).

(إن اللغـة كمـا يقال بحق ليست وسيلة تخاطب فحسـب، وإنما هي: (الوعاء الفكري والثقافي للحضارات) مما يؤثر في تكوين وبناء الشخصية).

ثم ذكر الخطر الديني، فقال:

«لقـد أظهـرت نتائج الدراسة الميدانية التي أُجريت فـي دول الخليج: أن المعتقدات الدينية للمربيات الأجنبيات يمكن ترتيبها على الوجه الآتي:

أولاً: المسيحية.

ثانياً: البوذية.

ثالثاً: الهندوسية.

ورابعاً وأخيراً: الإسلامية.

ومـن المعروف مدى الصلة الحميمية والوثيقـة بين الطفل ومربيته، فما الذي يمكن أن ينعكـس في بيوتنا وعلى أطفالنا من هذه العقائـد، ومما يراه الطفل وينطبع في حسه من ممارسات يومية.

ثم ذكر الخطر الأخلاقي فقال:

(فـي الاستطـلاع الذي قُـدِّم لتحـرّي القيـم والعـادات والتقاليد لـدى شريحة من المربّيات الأجنبيات والخادمات قرر ١٤٪ منهن أنهن يستقبلن أصدقاءهن في البيوت.

وقرّرت ٧,٨٪ أنهن يقمن بزيارة أصدقائهن في مساكن الأصدقاء.

وذكرت ٣,٤٪ من المربيات أنهنّ يشربن الخمر.

وحوالي ٢,٧٪ يدخنّ السجاير.

وأن ٦,٥٨٪ من المربّيات تحبذ (ممارسة الحب) والعلاقات العاطفية والجنسية قبل الزواج. وأظن أن ذلك يغني عن كل تعليق).

أقول:

إن هذه الرسالة صدرت سنة ١٤٠٥هـ، والأمر زاد واتسع، وأخطاره تكشّفت لكل ذي بصر وبصيرة. إن اهتمام الرشيد بهذا الأمر الخطير ليدلّ على بعد نظر وصدق في نصح الأمة وتحذيرها.

ومن الصفات التي يتصف بها الدكتور الرشيد سعة الصدر والعفو عمّن أساء إليه مع القدرة على الانتصاف منه، فقد علم أن واحداً من موظّفي الوزارة قام في مسجد يتكلم بكلام باطل يتهمه به، وكانت لدى الدكتور الرشيد وثائق تثبت تصرّفه وتدينه في القضاء. فما كلّمه، ولا رفع أمره إلى القضاء، ولا عاقبه بل أعرض عنه.

وأساء إليه آخر وواجهه بقلة أدب فلم يلتفت إليه.

وما أروع كلمة عمر بن عبد العزيز: ما قرن شيء إلى شيء أفضل من علم إلى حلم، ومن علو إلى قدرة[1]. هذا ومما يذكر في أخبار عمر بن عبد العزيز أن رجلاً أسمعه بعض ما يكره فقال عمر: (لا عليك، إنما أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً. انصرف إذا شئت)[2].

ولا ينقضي عجبي من قوم يتّهمون الرجل بالعلمانية من غير دليل ولا بيِّنة ولا شبهة دليل.

---

(١) أقوال مأثورة وكلمات جميلة، ج٣، ص٢٤.

(٢) أقوال مأثورة وكلمات جميلة، ج١، ص٤٩٨.

وأنـا وأخـي الكبيـر فضيلة العلامـة الأستاذ الشيخ عبـد الرحمن البانـي على صلة بالرجـل وثيقة، وإننا لنؤكّد أن هذا الادعاء باطل، سواء من الناحية الفكرية والاعتقادية أو من الناحية السلوكية.

نقول هذا ولا ندّعي أن الدكتور الرشيد عالم من علماء الدين، ولا أنه إمام من الأئمة، ولا أنه معصوم عن الخطأ، ونشهد أنه يحب الله ورسوله ﷺ، ونقول: إن الآراء الاجتهادية فـي أمور التربيـة والمجتمع التي يبديهـا فيها كثير من الصواب وقد يكـون فيها الخطأ، شأنـه فـي ذلك شأن البشر جميعـاً، وقد نخالفه في بعضهـا، ولله در من قال: (اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية).

فنحـن أهـلَ السنة والجماعة نعتقد أنه ليس هناك إنسـان معصوم في هذه الأمة إلا رسول الله ﷺ فيما يبلّغ عن ربّه، ولم يخلُ عالم من العلماء، ولا إمام من الأئمة من إمكانية الوقـوع في الخطأ، والمخطئ في اجتهاده مأجور، كما قال رسول الله ﷺ فيما صح عنه: (**إذا اجتهـد الحاكـم فأصاب فله أجـران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجـر**). رواه البخاري برقم (٧٣٥٢)، ومسلم برقم (١٧١٦).

وإذا كان إمام عظيم وهو الشافعي يقول:

(إنني ألّفت هذه الكتب ولم آل فيها جهداً، وأنا أجزم أن فيها غلطاً، ولكنني لا أعرف أين هذا الغلط، واستدلّ بقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. فـإذا وقف أحـد على غلط لي يتعارض مع الكتـاب والسنة فأنا أعلن تبرُّئي منه، وإذا صحّ الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عرض الحائط).

إذا كان هذا الإمام يقول هذا، فماذا نقول فيمن سواه!!

ولكن غلط المجتهد لا ينقص من قدره شيئاً.

وأريد أن أقرر أن الذي يعمل معرض للخطأ.. أما الأموات، والأحياء الذين كالأموات، فهؤلاء لا يخطئون.

نادى الدكتـور محمد الرشيد ببعض الآراء التربوية الجديدة التي لا تخالف الشريعة المطهّـرة من نحو دعوته إلى الإبداع والاختراع، والإفادة ممّا عند الآخرين لتستعيد هذه الأمة مكانتها، وتكون كما كانت خير أمة أُخرجت للناس.

ولـم يقتصر اهتمامه على الطلاب دون الطالبات، بل كانت له آراء ومقترحات تتعلق بالرئاسـة العامة لتعليم البنات، فكان مما اقترحـه أن يكون للطالبات درس في الرياضة البدنية في مدارسهن، فأساء بعض الناس فهم الاقتراح، ونال الدكتور محمد بعضُ الأذى بسبـب اتهامات باطلة.. إلى أن كانت جلسة مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله فـي دار سماحته، وكنت أنا والأستاذ عبد الرحمن بـن محمد توفيق الباني والدكتور عبـد الله بن حمود التويجري والدكتـور أحمد بن عثمان التويجري، وطلب سماحة الشيخ مـن الأستاذ عبد الرحمن البانـي أن يقرأ نص الكلمة التي فيها الاقتراح المذكور.. وبعد أن سمع الشيخ الكلمة قرر أنه ليس فيها ما يدعو إلى الإنكار.

وكان محمـد الرشيد يتصف بمناصحـة كل من يعرفه بالحكمـة والأسلوب الحسن، ويقبـل نصيحتهـم إن هم نصحوه، ويقول كلمة الحق بجـرأة متحلية بالرفق، الذي يقول فيـه رسـول الله ﷺ: «**إنّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع مـن شيء إلا شانـه**» رواه مسلم برقم (٢٥٩٤).

والكلمـة عندما تكـون كذلك يتحقق بها النصـح المطلوب فقد جعـل رسول الله ﷺ الديـن في النصيحة، وذلك في قوله: «**الدين النصيحـة**»، قالوا لمن: يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» رواه مسلم برقم (٥٥).

ومـن ذلك كلمته الطيبة التـي ألقاها في الجلسة الأولى لمجلـس الشورى، وذلك في سنة ١٤١٤هـ عندما اختير عضواً فيه، وقد يحسن أن أورد سطوراً منها.

قـال: (ونحن في هذا المجلس نخـدم وطننا كله، ولا يجوز لأي منا أن يُؤَثِر بنظره، أو برأيـه، أو باهتمامه جماعـة أو قبيلة، أو منطقة من جماعات هذا الوطن وقبائله وأنحائه، والنظر للأمور التي تعرض على هذا المجلس والمناقشة فيه يجب أن تتسم كلها بالانطلاق

مـن المنظور الجمعي الكلـي، وليس من المنظور الجزئي علـى أي نحو كان.. والتحيز في هـذا المجلس هو لخدمة هذا الكيان، الـذي نستظل بظله، ونحتمي بحماه، وهو للمصلحة العامة دون سواها.. والتعصب هو للحق الثابت وحده، وإذا كانت الدولة حرسها الله بنص النظام الأساسي للحكم تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فإن هذا المجلس أحد العيون الواعيـة اليقظة المبصرة التي تبيـن المعروف، وتحض على الأمر به، وتشير إلى المنكر، وتنبه إلى خطورته، وضرورة الإلحاح في توقي وقوعه، ورفعه إذا كان بالفعل قد وقع.

ولذلـك فـإن المجلس لا يجوز أن يضيـق صدره بالإشـادة بالصواب الـذي تصنعه مؤسسـات هذه الدولة وهيئاتها كافة، بـل ينبغي أن نشد على يد المحسنين من القائمين بالعمـل فيها، وأن نقـوي عزمهم بما يدعوهم إلى الاستمرار علـى تحري الصواب، وإلى تطوير أساليب الوصول إليه، وهذا صميم الأمر بالمعروف.

وحيـن نرى أمراً نعده خطـأً غير محقق للصالح العام فإن المجلس لا يجوز أن يتردد فـي إسماع صوته إلـى المسؤولين عنه، وإلـى أولي الأمر، حتى يتمكنـوا من منع تكراره، ويحُولُـوا بين أصحابه وبين الإساءة إلى التجربة العظيمة التي تعيشها هذه البلاد بفضل الله ونعمتـه، ثـم بعزيمة ولـي الأمر خـادم الحرمين الشريفيـن، وولي عهـده، وصواب فكرهما، وسداد رأيهما، وإخلاصهما.. وهذا من صميم النهي عن المنكر، لكنه لا يكتمل إلا باقتراح البدائل الصحيحة للأساليب أو الممارسات أو الأوضاع الخاطئة، لأن الانتقاد وحـده لا يصحـح الوضع المطلوب تصحيحه، وإظهار النقص لا يقود إلى الكمال إلا إذا اقترن بإشارة هادية تعين على الوصول إليه.

وبقـدر ما نكون عدولاً في الثناء والإطراء فلا نغلو ولا نزايد، وبقدر ما نكون عدولاً في التنبيـه إلى الخطأ إن وجد فلا نفرط في حق الأمة علينا بالإغضاء عنه فنكون قد تحملنا مسؤوليتنا، وأمسينا وأصبحنا عند حسن ظن الذين منحونا الثقة الغالية، وكما أن صوابنا واقع، فإن الخطأ من كل أحد غير مستبعد، إذ لا عصمة لإنسان بعد رسول الله ﷺ، والعقل والحكمة يقتضيان ألاّ يضيق العقلاء والحكماء بانتقاد أخطائهم، بل إنهم بذلك يسعدون، ولذلك قال قائلهم: "رحم الله امرأً أهدى إليّ عيوبي").

ومـن الأمـور التي أحبُّ أن أذكرها عن إدارته أنـه كان يبذل كل ما أتاه الله من طاقة ومقـدرة وفكر في سبيل إحكام العمل الذي يقوم به، سـواء كان في عمادته لكلية التربية أو إدارتـه مكتب التربية العربي لـدول الخليج العربي، أو توليـه وزارة المعارف (التربية والتعليم حالياً)، والاستفادة من طاقات من يعاونونه في عمله.

وكان الدكتـور يعمل على تحقيق آماله ورغباته بروح الفريق، وكان يقول: «إن الجهود المتضافـرة المتعاونة تستطيع أن تحقق المطلـوب بالشكل الأصوب والأسرع، وكان يقدر للناصح نصحه، ويعمل به إذا رآه مناسباً».

ومما يذكـر له التزامه بالـدوام فقد كان يأتي إلـى عمله مبكـراً، ويطالب الآخرين بذلك، وكان يحرص في أيام وزارته على أن يحضر الطلاب في أول يوم من أيام الـدوام.

لقـد كان محمد الرشيد من (الأكاديميين) الـروّاد الذين عادوا من ديار الغربة، ثم أظهروا أثرهم في بلادهم.

وكان صاحـب دعابة، يـروِّح بها عن نفسه، ويحقـق بها كثيراً مما يريـد، ويؤنس بها جليسه، وقد تكون جواباً عن سؤال، أو تعليقاً بليغاً على موقف ما من المواقف.

وتبـدو دعابته واضحة في مجلسه الـذي يعقده مساء كل سبت بين المغرب والعشاء، هـذا المجلس الـذي ينمو باستمـرار ويتزايد روّاده الذيـن يستقبلهم الرشيـد ببشاشته المعروفة، ويسأل كل واحد منهم عن أموره الخاصة، وقد يسأله عن والده أو ولده وما إلى ذلـك.. ويشارك الحاضرين الحديـث الذي قد يتضمن بعض النـكات المهذبة اللطيفة، وبعض القصص الواقعية الطريفة.

وقـد تُلقى في هذا المجلـس القصائد والكلمـات.. فمن ذلـك أن الشاعر المصري الدكتـور ربيـع السعيد عبد الحليم ألقى في المجلس قصيدتـه التي عارض فيها قصيدة إيليا أبي ماضى التي تفيض بالقلق والحيرة والتشكيك في العقائد الدينية.. والتي شاعت وغنيت وفيها:

جئت لا أعلم من أين؟ ولكني أتيتُ

ولقد أبصرتُ قدّامي طريقاً فمشـــــيتُ

وســـــأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيتُ

كيف جئتُ؟ كيف أبصـــرت طريقى

لست أدري

فقال الدكتور ربيع معارضاً:

جئت دنياي، وأدري عن يقين كيف جئتُ

جئت دنياي لأمر من هدى الآي جلوتُ

ولقد أبصرت قدامي دليلاً فاهتديت

ليت شـــــعري كيف ضل القوم عنه

ليت شعري

والقصيدة طويلة وتفيض بالإيمان بالروح الإسلامية المشرقة، ثم قدّم الشاعر القصيدة إلى الدكتور الرشيد.

وأذكر كذلك الكلمة البليغة التي ألقاها في المجلس الأستاذ العلامة عبد الرحمن الباني -رحمه الله- عندما ترك الرشيد الوزارة، وقال فيها:

(إن الناس يُهَنئُون الوزراء عندما تُسند إليهم الوزارة، ولكنني أريد أن أهنئ أخي الدكتور محمد الرشيد اليوم على نجاحه في إدارة أمور وزارته وتحقيق كثير من أماني التربويين في أعماله الموفقة). وكذلك كانت تُلقى في هذه الجلسة أحياناً قصائد من الشعر النبطي، وقد يكون في الجلسة مناقشة لعدد من القضايا الاجتماعية والفكرية، ولبعض أحداث الساعة، وقد يكون للحاضرين أكثر من رأي.

وكان عظيـم التفاؤل، يُحسن الظنّ بالمستقبـل، ويسعى لتحقيق ما يرى أنه خير، ولا يعرف اليأس إلى نفسه سبيلاً، وكان يدّرع الصبر ويردد بلسان الحال قول الشاعر:

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته

ومدمن القــرع للأبــواب أن يلجا

أســأل الله أن يُسـدِّد خُطاه على طريق الحق، وأن يديم عليه نعمه وفضله، ويقرّ عينه بأولاده وأسرته، وأن يجعله ممن طال عمره وحسن عمله.

والحمدُ لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.